تاريخ الاستلام: 2020/02/22
تاريخ القبول: 2020/02/27

الهوية ونقدها عند المقارن عز الدين المناصرة

Identity and criticism of the comparator Izz al-Din al-Manasrah

د.كرفاوي بن دومة *
Douma.arfaoui@gmail.com
جامعة الجلفة

د. لباشرية خديجة **
khadiddja bacheria82@gmail.com
جامعة الجلفة
(الجزائر)

ملخص:

اعتمد عز الدين المناصرة في المقارنة على منهجية النقد الثقافي، التي أنقذت المقارنة من اقتصار عملها على الكشف عن طبقات الأثر والتأثير داخل النص، أو على ثقافة مؤلفة، فالتفت إليه واتخذه مظلة للمقارنة، وعدم الاكتفاء بمنجزات النقد الأدبي ومبتغياته، الذي أمعن في خدمة البليغ الجمالي، وغفل عن المكون النسقي الثقافي ليسهم في مشروعات نقد الخطاب، وهذا ما لم يقف عليه النقد الأدبي، ولم يجعله في سجّل تفكيره ، إذ يمكن للباحث المقارن-حسب تصوره- البحث عن الأنساق وكشف هيمنتها، لأنه يعتبر أن فهم النصوص و إدراك آثارها على المتلقي يستوجب ملامسة هذه الأنساق الثقافية وإشراكها في عملية القراءة والتأويل، وهو دافع أساسي دفع المناصرة لخوض غمار البحث في الظواهر الأدبية وغير الأدبية.

كلمات مفتاحية: الهوية ، النقد ، المقارن ، عز الدين المناصرة

Abstract:

Izz al-Din al-Manasrah relied in the comparison on the methodology of cultural criticism, which saved the comparison from limiting its work to revealing the layers of impact and influence within the text, or to a culture composed, so he turned to it and took it as an umbrella for comparison, and not being satisfied with the achievements of literary criticism and its aims, which examined the aesthetic eloquence And he omitted the cultural coordinating component to contribute to the projects of criticizing the discourse, and this is what literary criticism did not stand on, and did not put him in the record of his thinking, as the comparative researcher can - according to his conception - search for patterns and reveal their hegemony, because he considers that understanding the texts and realizing their effects on the recipient These formats require contact with culture And its involvement in the process of reading and interpretation, a key motivation to push pro fight in search of literary and non-literary phenomena.

. **Keywords:** identity, criticism, comparative, Izz al-Din al-Manasrah
, poetry.

المؤلف المرسل: د.كرفاوي بن دومة ، الإيميل: Douma.arfaoui@gmail.com

www.manaraa.com

المقدمة:

يأخذ عز الدين المناصرة نموذجا للمواضيع التي غفل النقد الأدبي عن دراستها ومعالجتها ، موليا القيمة التي تستحقها في أي تحليل نقدي للنص الأدبي؛ معبرا عن ذلك بقوله : " فإذا كان النقد الأدبي قد عجز عن طرح مسألة الهوية (IDENTITY) ، وجعلها قضية من قضاياه، مثلما نجح في جعل قضايا أخرى كالتراث، والأسطورة، والشكل الفني، والأجناس الأدبية، والإيقاع، والشعرية، والأسلوب، غير ذلك... من قضاياه المهمة و الشاغلة، فإن (الهوية) بوصفها قضية إنسانية – قديمة وحديثة في آن- لابد و أن سيبحث لها عن موطئ قدم في ميدان معرفي آخر، وللحق فقد حاول النقد الأدبي في بعض مراحله إثارة مشكلة الهوية واعتبارها متعالية موضوعية من متعاليات النشاط النقدي، لكن على أصعدة ضيقة ، فالشعر العربي الحديث، على سبيل المثال، لم يستطع إبراز صوت الفئات أو الأقليات الهامشية في المجتمع العربي، فانعكس هذا على النشاط النقدي في هذه الزاوية، بينما لم يكن الأمر كذلك في زاوية الإبداع الروائي الذي منح النقد الأدبي فرصة مناقشة جوانب معينة في قضية (الهوية) ولكن لم تتبلور –حتى اللحظة- رؤية واضحة، أو موقف محدد للناقد العربي الحديث من ملابسات هذا الموضوع " [1]

لقد أثار كتاب (الهوّيات والتعددية اللغوية –قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن-) لعز الدين المناصرة في سياق الدراسات الثقافية والمقارنة في ثقافتنا العربية المعاصرة سجالا عند الباحثين للطرح الفكري المتضمن فيه فاعتبر بأنه لا يقل أهمية عمّا قدّمه **صموئيل هنتنغتون** Huntington Samuel في كتابه المشهور (صراع الحضارات) الذي صدر باللغة الإنجليزية عام 1996 ، موليا الأهمية للأنساق الثقافية في تبنيه أطروحة أساسية مفادها أنّ صراعات ما بعد الحرب الباردة ستكون أكثر وأعنف على أسس ثقافية.

ينطلق عز الدين المناصرة في معالجته لموضوع الهوية من منطلق منهجي يقوم على تحديد المفاهيم الأولية التي تؤطر مجال الدراسة مبتدءا بمصطلح الثقافة منتهيا عند مصطلح الهوية مستندا في ذلك على الأساس اللغوي في تحديده، وهو هنا يقدم تعريف **أليكس ميكشيللي** للهوية، فهي عبارة عن: " مركب من العناصر المرجعية المادية و الاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للتفاعل الاجتماعي " [2]

وهذا الأساس اللغوي يصدر عن فهم عالمي لمصطلح الهوية (Identity) ذاك الذي يعد (الهوية) ظاهرة لغوية، وعلى هذا الأساس فإن أي دراسة لغوية تحتاج إلى أخذ الهوية بعين الاعتبار، إذا أرادت أن تكون دراسة تامة وغنية، وذات مدلول، لأن الهوية ذاتها لا يكتمل مدلولها إلا في جوهر اللغة، وفي كيفية الوظيفة التي تؤديها هذه اللغة، وفي الطرق والأسباب التي عملت على ظهورها إلى الوجود وتطورها، وفي كيفية تعلمها واستخدامها كل يوم من قبل كل مستخدم لغة في كل وقت وحين [3]،كما تحتاج مثل هذه الدراسة، إضافة إلى ما سبق للوقوف على عوامل تعزيز الهوية والحفاظ عليها من جهة، وأسباب ونوازع سلبها أو خلخلتها من جهة أخرى، وهما مسألتان أولاهما عز الدين المناصرة عناية كبيرة في الفصل الأول الذي قدم له بمقدمة أسماها (النقد الثقافي المقارن) وركز فيها على المحاور التالية [4]

1- مفهوم الثقافة، مبرزاً صفة النخبوية هنا.

2- مفهوم النقد الثقافي، وهنا تظهر وظيفة جديدة للنقد خارج إطارها الجمالي، ويشير المناصرة إلى تفرعات النقد الثقافي في حضارتي العرب والغرب، بصرف النظر عن التسميات.

3- علاقات النقد الثقافي بالأنظمة المجاورة، فهو ذو ارتباط وثيق بالعلوم الإنسانية كافة.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

www.manaraa.com

4- النقد الثقافي مقصر في دراسة مشكلات العالم العربي وأبرزها الهوية، بالرغم من جهود إدوارد سعيد المثمرة في تطبيق منهجية النقد الثقافي على ظواهر جوهرية أثرت في تشكيل المجتمع العربي وسماته التاريخية، كالاستشراق، والاستعمار، والمقاومة وغير ذلك.

يحاول عز الدين المناصرة في هذا الفصل توضيح منهج الدراسة وإستراتيجيتها، إذ ينطلق في دراسة الهوية من منظور إنساني مجرد، بعيداً عن التحفيزات الإقليمية، لذا بدأ في الحديث عن الهوية بما أسماه (هويات مدهوسة: الهنود الحمر... والغجر مثلا) نلمس من خلاله دور الحكومات والسلطة في سلب الهوية من الآخر، تحويل المتن إلى هامش، والحق إلى باطل، والباطل إلى حق، إنها فلسفة قلب الموازين، مستشهدا في ذلك بالرجوع إلى تاريخ بعض شعوب العالم وما تعرض له من قهر وتهميش وفي كثير من الأحيان إلى إبادة جماعية بسبب بعض السياسات العنصرية والإقصائية التي تنتهجها تلك الحكومات مثل: "112 مليون هندي أحمر كانوا يسكنون وكنهم، قبل تسميتهم باسم أميركا، منذ غزو **كولومبوس** عام 1492، لم يبق منهم في إحصاء 1900 سوى (ربع مليون) إنسان، لقد شنّ الغزاة الأمريكيون ضد الأصلانيين من أصحاب الأرض (93 حربا) جرثومية شاملة، أتت على حياة (400 شعب) من الشعوب الهندية الحمراء. هذه الإبادة الجماعية الأطول والأعظم في تاريخ الإنسانية، ولم تعترف الولايات المتحدة إطلاقا بعدد الهنود الذين أبيدوا في الشمال الأمريكي"[5] ونفس الشيء يقال في اضطهاد الغجر وتشتتهم النابع من الظروف المحيطة التي تمزق عناصر هويته وتمنعه من التوحد، كذلك لغته، ومن جهة أخرى تعرض الغجري للإبادة الجماعية في أوروبا، وأجبر على إخفاء هويته، بدعوته إلى الاندماج في هويات الآخرين، دون أن يسمح لهم حتى بالازدواجية، وهكذا لا يجوز أن يقهر الغجري تحت أي حجة حتى لو كانت المحاولة القهرية لإدماجهم بالقوة في آليات الإنتاج الحديث [6]

لكن المناصرة، ودون إعلان مسبق، يتبع في محاولته تحقيق منهجه (النقدي الثقافي المقارن) استراتيجيات أشبه بتلك الصادرة عن ممارسات (تحليل الخطاب) بسبب اعتماده على المكون اللغوي في دراسة ظاهرة غير لغوية، وهو بذلك يتجاوز الجمود المنهجي عند كثيرين من محللي الخطاب، لم قام به من إضافة (مالا يقوله النص) حسب بعض أصحاب هذا المنهج [7]

" ثمة غاية أساسية لعز الدين المناصرة من دراسة الهويات تحت مظلة (النقد الثقافي) أي إنّ قيام المناصرة بتفعيل دور النقد، وإعادة الاعتبار له بصفته فاعلية إنسانية خادمة للمجتمع، وإلباسه لبوس العلم مسألة غاية في الأهمية، وهنا يتجاوز الناقد دوره الجمالي – وهو دور مهم ومطلوب – إلى دور اجتماعي تفاعلي، ينأى بنشاطه العلمي والبحثي عن النخبوية، والعزلة الاجتماعية ليغدو (العمل النقدي) لهذه الأبعاد، عملاً مشخصاً ومعالجاً. ولمزيد من إيضاح هذه الإستراتيجية أشير إلى كثير من الدراسات التي انتشرت في الآونة الأخيرة حول (الهوية) وعلاقتها بالمشكلات السياسية والاجتماعية والثقافية، وما انعكس بأخرى في مشاكل عالمية خطيرة تحت مسميات (العنف، والجريمة المنظمة، والإرهاب... وغير ذلك من المسميات) كتب الفيلسوف الهندي المعروف **أماريتا صن** (ولد 1933م) وأستاذ العلوم الاقتصادية في هارفرد وكمبردج حيث يعتبر أنّ خلفيتنا الثقافية يمكن أن يكون لها تمثيل هائل ورئيسي في سلوكياتنا وتفكيرنا. كذلك، نوع الحياة التي نعيشها لابد أن يكون متأثراً بخلفيتنا الثقافية ويمكن أن تؤثر الخلفية الثقافية أيضاً في إحساسنا بالهوية وإدراكنا للانتماء إلى جماعات نرى أنفسنا أعضاء فيها [8]

يحاول عز الدين المناصرة باستشهاده بالفيلسوف الهندي **أماريتا صن** أن يؤكد أهمية الثقافة لوعي الإنسان وسلوكه، وبتأثير العميق في حياة الإنسان وأعماله، دون أن يغفل عن بعض المؤثرات الأخرى، وقد عبر عز الدين المناصرة في كثير من كتاباته أنه ابن هوية (مدهوسة) كما

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

www.manaraa.com

سمّاها هو، وإنّ تاريخ هذا الإحساس بقتل الهوية مفهوم ومدرك تماماً من قبل المناصرة الذي يروي ما يلي: "يقول فريزر: (إنّ رأى العلماء الأكفاء من أهل الخبرة والمعرفة، إنّ فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية اليوم، هم ورثة القبائل الكنغالية الوثنية التي كانت، وظلت أقدامهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ)، لقد تعرضت الهوية الفلسطينية لحملات إبادة جماعية في العصر الحديث، لم يشهد لها القرن العشرون مثيلاً، فقد تعرض الفلسطينيون لمذابح بشعة ارتكبها الإسرائيليون، لم تكن محصورة في مذابح دير ياسين وقبية ونحالين والدوايمة والطنطورة وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا والخليل وجنين ورفح، بل سبقتها مئات المذابح إضافة لتدمير ألاف المنازل واقتلاع الأشجار وقتل الأطفال والشيوخ والنساء، واقتلاع وتهجير مليون إنسان فلسطيني عام **1948م**، ورميهم إلى المنفى... وإنّ الهوية الأمريكية تأسست بنفس الأساليب، هذا هو سرّ التحالف الأمريكي – الإسرائيلي، الاستراتيجي" [9]

يرى المناصرة أنّ الدراسات الثقافية هي الملاذ الوحيد لكل ناقد ينوي الخروج عن دراسة النص الأدبي إلى نوع آخر، ونمط مغاير من النصوص ، لقد صارت هذه الدراسات تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية، يستخدم(النص) لاستكشاف أنماط معينة، من مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الأيديولوجية وأنساق التمثيل، وكل ما يمكن تجريده من النص، وبما أنّ النسق هو بؤرة البحث الثقافي، وغايته الجوهرية، فإن تتبع المناصرة لتاريخية الظاهرة وتمثلاتها اللغوية، كما فعل مع (الهوية) جعله هنا باحثا أو ناقدا ثقافيا، فقاده تتبع هذا الحدث التاريخي وتفاصيله الكثيرة إلى تحليل (ثقافي) بل رؤية منهجية مقارنة، وفق المنظور الثقافي نفسه، مستعيرا من النقد آلياته التحليلية، ومن الثقافي غاياته الاستقرائية التنميطية في البحث عن النسق ،" وهنا يلجأ المناصرة إلى معطيات المقارنة ومرتكزاتها لإثراء آلية اشتغاله على الهويات بمساهمات من هذه الحقول المعرفية الثلاث (النظرية النقدية، الدراسات الثقافية، ونظرية المقارنة)ومن هنا قام بتقسيم الهويات إلى: (هويّات مطمئنة، وهويّات قلقة، هويّات مقهورة) محاولاً إدانة كل مظاهر تمييز الهوية، والتعامل الكوني أو الكوكبي على هذا الأساس، ولاسيما أنه خاض تجربة (القلق) المنبعث من انتمائه لهوية عانت ولا تزال تعاني أثار التواطؤ الإجرامي الدولي، كما أسلفت، بالإضافة إلى إطلاعه بعمق على تجربة عربية وعالمية في (آداب المقاومة) فكانت أطروحته للدكتوراه كما عرفنا: (المقاومة الشعرية العالمية، وأثرها في الشعر البلغاري **(نيكولا فابتساروف)**، والشعر الفلسطيني)، **1981م.**

ولاشك أنّ أدب المقاومة بحد ذاته هو أدب هوية، يعكس توجهات الألم الإنساني وغصص القهر المعبّر عن استلاب الذات، وعجزها عن استرداد حقها من المغتصب المحتل، الذي آلمها تاريخياً " [10]

ولقد مثل عز الدين المناصرة لأدب المقاومة الفلسطينية، حيث حمل الشعر كجنس أدبي بارز هم المقاومة والتعبير عن أحوال الإنسان الفلسطيني والعربي، مثلما حمل همومه الشعرية الجمالية أيضاً، وهو ممزق بين محاولات تأكيد الهوية من جانب والرغبة في إقناع العالم من حوله بعدالة قضيته وحقه من جانب آخر، فما تنجزه (الهويات) من نصوص (أدب مقاومة: شعر، رواية، مسرح، فن تشكيلي، كاريكاتير، أدب شعبي) هو مادة لغوية جمالية خاضعة للعمل النقدي وشروطه، ومن هذا الباب دخلت الهويات، وما تطرحه من قضايا وأفكار ومشكلات، وتمثيلات لا نصية تعمل على إنتاج ثقافة معينة مجال (الدراسات الثقافية) والتي تعد حقلا معرفيا، ولكن المناصرة عمد إلى (المقارنة) ليكون منظوره (منظوراً نقدياً ثقافياً مقارناً) وهو هنا لا يستند إلى الوجه الكلاسيكي للمقارنة، إنما ينطلق إلى أحدث الآفاق والتحولات التي تمثلها نظرية المقارنة في القرن الحادي العشرين، فإذا كان النقد الثقافي يفضح أنساق التسلط والهيمنة، على الوجه الذي اتبعه نقاد مهمون في هذا السياق كإدوارد سعيد وغيره، فإن النقد المقارن في تحولاته وتطوراته المتلاحقة ساهم في "الانقلاب على

www.manaraa.com

المركزية الأوربية معنوياً وفكرياً، فبعد أن كانت المقارنة في البدء فكرة اعتزاز بأوربا ودورها الثقافي والحضاري، أصبحت الآن مدموغة بأنها حارسة النظام الكولونيالي البائد" [11]

لقد أدرك الباحث عز الدين المناصرة أثناء مناقشته لموضوع الهويات أهمية البعد الثقافي في عملية المقارنة مما دفعه أن يمزج بين حقلين معرفيين يبدوان لأول وهلة أنهما متباينان ولكنهما في الحقيقة متداخلان كل منهما يستقي من الآخر أدواته الإجرائية عمل عليه بعزيمة وإصرار، ونمط من التفكير يفصح عن وعي نقدي وفكري جذري، وقد شجّع هذا المنهج الجديد عز الدين المناصرة على تطبيقه في دراسات أدبية وغير أدبية، كالهويات، والسينما، والفن التشكيلي، الأدب الشعبي وغير ذلك.

يشدد عز الدين المناصرة على التعامل مع ثقافة الأخر بشيء من التساهل أو السذاجة حتى أنه يؤكد على عدم الجدوى من حسن النية ، مادام هذا الأخر هو الذي مارس (تاريخياً) دوراً متوحشاً في اغتصاب هويات آخرين، في وقت يدّعى فيه العلم والمعرفة والديمقراطية والحرية والإخاء، مفترضا "أنّ التفاعل الثقافي، يتم بين ثقافات وهوّيات متعددة، بندّية تامة، مع الاعتراف بالنسبة والتناسب الواقعي، لكن التزوير، بدأ مع الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر، حيث أسمت (ثقافة الإبادة الجماعية) المثاقفة، بمفهوم فولكلوري هو: ثقافة عليا (أمريكية) وثقافة دونّية (هندية حمراء). وهكذا تم اختراع هوية أمريكية في ناطحات سحاب مبنية على مستنقعات دماء الجنود الحمر، مثلما تم اختراع (هوية إسرائيلية) على أجساد الفلسطينيين مع اقتلاعهم من أرضهم إلى المنفى، وزج من تبقّى منهم في السجون الإسرائيلية، مع محو كل أثر يدل على هوية الفلسطيني، لكن الفلسطينيين تعلموا درس الهنود الحمر، فأتقنوا المقاومة، وعلّموا العالم، دروساً في أشكال رمي الحجر" [12]

يشير عز الدين المناصرة إلى (فخ العولمة) ؛ فالمتغيرات و التقلبات و الهزات الفكرية في العالم مست الهويات مسا مباشرا بمعنى أن العولمة أيقظت الهويات من نومها المطمئن وجعلتها في دائرة الضوء والخطر ، حيث تظهر الحركات القومية المحلية استجابة للنزوع نحو العولمة، إذ تتضاءل سيطرة الدولة، وتضغط العولمة في الاتجاه الجانبي ،في شكل يوهم المتعامل معه أنه يسعى إلى اللامركزية والتوحد، لكنه يخفي مضمرات الهيمنة والتسلط، وبما أنها حركة فكرية (إمبريالية) كان من أخطر غاياتها نزع النص عن سياقه ونزع الهويات عن تاريخها ومرتكزاتها، مستعينا بأساليب شتى على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي ، وبأدوات هائلة كالإعلام الموجه، ومن هذه الزاوية أدرك المناصرة خطورة الوضع فوظف النشاط المقارني لكشف زيف الراهن الثقافي، وإن سيادة النموذج الأمريكي ولغته وجه أساسي لهذه المسألة، ويرى البريطاني جون تومليسون، أن "قضية السيطرة اللغوية والتهديد الذي يواجهه التنوع الثقافي يأخذنا إلى القضية الأوسع التي تتعلق بالإمبريالية الثقافية: أي الكرة التي تقول إن الثقافة العالمية هي – بشكل أو بآخر – عرضة لأن تكون ثقافة مهيمنة. كل هذا البناء المتشائم لفكرة الثقافة العالمية، في الحقيقة، هو الأكثر بروزاً في أواخر القرن العشرين... إنها جانب من الطبيعة الهرمية للإمبريالية، أي الهيمنة السياسية المتزايدة لثقافات مركزية معينة، وانتشار القيم، والسلع الاستهلاكية، وأنماط الحياة الأمريكية" [13]

ومن تجليات كشف عز الدين المناصرة زيف الراهن الثقافي ما لاقاه السريان كنموذج للهويات التي اجتيحت تاريخيا واصفا وضعيتهم قائلا:"ظلت اللغة السريانية هي الجامع المشترك بين كل الطوائف السريانية في سوريا، والعراق، ولبنان، وفلسطين، والأردن، المختلفة عرقياً ومذهبياً. فهناك مثلاً، عشرون ألف مسلم في سوريا يتكلمون السريانية. وقد لعبت الثقافة السريانية دوراً مهماً في الحضارة العربية، خصوصاً في مراكزها التاريخية في الرّها ونصيبين... وبما أن اللغة السريانية هي المشترك بين الأفقيات الدينية والمذهبية والعرقية، فإن إقرار أهمية السريانية في بلاد الشام والعراق، يقتضي الاعتراف بها، لغة وطنية رسمية ثانية، بعد اللغة العربية الوطنية والرسمية والموجودة للهلال

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

www.manaraa.com

الخصيب وباقي البلدان العربية... وهذا يقتضي إعادة الاعتبار للسريانية في المدارس والجامعات كلغة شرقية شقيقة للغة العربية. أما الحقوق الأخرى غير الثقافية للسريان، فيتم تنفيذها من خلال مبدأ المواطنة وقوانينه، مع التأكيد على مبدأ الحماية الخاصة لهم من قبل الدول" [14]

يرى عز الدين المناصرة أن الحديث عن فخ العولمة أو المركزية الغربية أو الطبيعة الهرمية للأمبريالية أو الحديث عن التفاعل الثقافي أو الانتماء أو الأنساق الثقافية وكذا الحديث عن الهويات ؛ من شأنه أن يضعنا أمام نمط من الوعي الاجتماعي واللغوي والسياسي والثقافي، يعزز رؤى التحرر للشعوب ويكرّس أحقية الإنسان في الحياة الكريمة، وممارسة وجوده بعزة وكرامة... والقراءة التأويلية لهذه الرؤى ينبغي أن تنحو منحاها المقارن لمزيد من فهم الأهداف والغايات المبتغاة بحسب المناصرة. وذلك أن تقارن بين ما يمارس على الشعوب وهوياتها من القوى الإمبريالية والاستيطانية، وما ينبغي أن يكون عليه الحال من حفظ كرامة الإنسان ، وحقه في الحوار الحضاري والحقيقة أنّ المناصرة الذي جشم نفسه عناء القراءة (النقدية الثقافية المقارنة) لموضوع الهويات، قدّم نمطاً من الرؤى والحلول المحدودة ، دون الاتساع بها إلى آفاق المشكلة الحضارية والثقافية الأشمل، تلك التي ينبغي أن تشير إلى المكون النفسي للأمة، وقدرتها أو جرأتها على الجرد من الذات في قضايا الحوار مع الآخر، كما ينظر إلى التحرر من الغرب معناه الدخول مع ثقافته، التي تزداد عالمية، في حوار نقدي، وذلك بقراءتها في تاريخيتها وفهم مقولاتها ومفاهيمها في نسبيتها، وأيضاً التعرف على أسس تقدمه والعمل على غرسها أو ما يماثلها داخل ثقافتنا وفكرنا [15]

ونجد عز الدين المناصرة يأخذ من مقولات **جان فرانسوا بايار** ضمن كتابه (أوهام الهوية) يجب أن يراعى لها لفهم مصطلح الهوية منه [16]

1-أن الحركة العامة الرامية إلى إزالة الحواجز-معرفيا-بين المجتمعات، تحت دعوى العولمة و الكوكبية تأتي مصحوبة بتأجج الهويات خاصة، سواء أكانت عقائدية أو قومية أو إثنية.

2-ضرورة تقديم مفهوم جديد في النقد السياسي الثقافي و الأنماط الاجتماعية، وذلك عبر أسئلة حول الكونفوشيوسية والثقافة الإفريقية و الإسلام، ومدى دور هذه العقائد في المجال السياسي.

3-أحلام الهوية ترتبط دائما بالانغلاقية الثقافية كبديل لوجهة النظر، أو كبديل للحوار.

4-لا نوجد ثقافة إلا وتم خلقها، كما أن تشكيل الثقافة أو التقاليد، يأتي عبر الحوار المتبادل وعبر البيئة الإقليمية أو العالمية.

5-يستبعد **بايار** الدعوة للهوية من دائرة الحوار لأن هذه الدعوة ارتكبت ثلاثة أخطاء منهجية (لأنها تعتقد أن أي ثقافة تشكل جمعا من التمثلات الثابتة على مدى الزمن- وأنها تغلق هذا الجمع على نفسه-لأنها تعتبر هذا الجمع يقرر توجها سياسيا محددا).

6-المجتمع أرخبيل من السلطات المختلفة وهو ليس جسما واحدا، تمارس فيه سلطة واحدة ولكنه في الواقع، تجمع وارتباط وتدرج لسلطات مختلفة.

لقد كان منهج المناصرة واضحا في عمله على الهويات،إذ التفت إلى الناحية التاريخية في ثبت الجذور والأصالة و الأحقية عبر الزمن والمكان للأقليات مثلا ، كما أنه لم يغفل عن الناحية النقدية التي تفترض المقارنة كأداة منهجية بين ما يمارس من هيمنة على الشعوب وبين ما يجب أن يكون عليه الإنسان في حفظ كرامته وحريته، مهملا بقية الشروط الواجب استحضارها للتمكن من دفع أفكاره باتجاه تحقق الخطاب فيما يتعلق (بحقوق الهويات) في ظل مناخات العولمة وتأثيراتها الجارف. ولكنه اقترب من هذه (الكلية) في حديثه عن المشكلة الفرانكفونية كما سيتضح لاحقاً. ولعل مناقشة المناصرة (للهوية الكردية) إذ اعتبر تكوين دولة كردية مستقلة (كردستان الكبرى)

www.manaraa.com

على الأرض التي يعيش فيها الشعب الكردي في الدول الإقليمية الخمس هو أمر صعب التحقيق، أما بالنسبة لأكراد العراق، فلهم الحق في حماية الفيدرالية الكردية، ضمن الدولة العراقية الموحدة، في حين ينظر المناصرة إلى المشكلة الأمازيغية بمنظارين مختلفين، بحسب جغرافية وجودها، فهي في الجزائر غيرها في المغرب، ومع ذلك فإن الأفكار المقترحة عنده لحل المشكلة تحاول تأكيد عروبة (الأمازيغ) ليدفع بالهوية لتؤكد مكانها في فعل التأثير من أجل إنصاف هذه الهوية. وهو توجه مختلف عن عرضه للمشكلة الفرانكفونية المتعلقة بالدول الناطقة بالفرنسية، وكانت مستعمرات فرنسية، ومنها لبنان، حيث يخلص المناصرة إلى عدة نقاط ملخصها [17]رفض (التيار العروبي) قراءة (الفرانكفونية) قراءة هادئة لتحليل أسبابها الحقيقية، واتخذ موقف الرفض، انطلاقاً من اعتبارها (إحدى تجليات الاستعمار الفرنسي)، وشكلاً من أشكال الاستعمار الجديد.

1- الفرانكفونية حالة ومؤسسة إيديولوجية تهدف إلى بقاء السيطرة الفرنسية على إفريقيا العربية بأسلوب حداثي ثقافي اقتصادي سياسي.

2- ساهمت فرنسا للترويج للعاميات العربية ولهجات ولغات الأقليات تحت شعار (التعددية الثقافية) بهدف التصارع مع اللغة العربية.

3- واجه بعض العرب هيمنة الفرانكفونيين بالترويج للانجليزية لإغاظة الفرنسيين، واقترح آخرون توسعة دائرة الإغاظة ففسحوا المجال لثقافات أخرى كالروسية وغيرها.

4- أبدى بعض المثقفين المغاربة إعجاباً غريباً بالثقافة الفرنسية حدّ العشق، وراح بعض المبدعين يكتب أدبه بالفرنسية بدلاً من العربية، فنجم عن ذلك أدباً مهجناً.

5- تحالفت الفرنكفونية العربية الليبرالية مع أوربا والولايات المتحدة لقمع التيارات الإسلامية والقومية والاشتراكية. مما عزز التوجه نحو (ثقافة السلام) (وثقافة التأسول) على النمط الأمريكي.

6- وأخيراً – يرى المناصرة – أن التبعية الصافية خطر محدّق، فلا بأس في التعددية اللغوية أن تكون دراستنا للغة الآخر طريقاً للعلم والمعرفة، نظراً لأهميتها، بعيداً عن التبعية للتأمرك والفرانكفونية، على أن تظل العربية وثقافتها هي المركز والهدف كما يفعل الأوروبيون أنفسهم مع لغاتهم القومية.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228
www.manaraa.com

قسم الهوامش :

[1] - عباس عبد الحميد عباس تحولات الدرس الأدبي المقارن (عزالدين المناصرة وجهوده المقارنة انموذجا)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.، ص50

[2] - عز الدين المناصرة، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004.، ص119

[3] - جون جوزيف، اللغة والهوية، ترجمة: عبد النور خرافي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والإعلام ، الكويت ،العدد 342، 2007م.ص 297

[4] - عباس عبد الحميد عباس، تحولات الدرس الأدبي المقارن (عزالدين المناصرة وجهوده المقارنة انموذجا)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012. ، ص61

[5] - عز الدين المناصرة ، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004. ص 16).

[6] - عز الدين المناصرة ، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004. ، ص128).

[7] - لويس غسان، مدخل إلى تحليل الخطاب، ترجمة: سام عمار، مجلة التعريب، سوريا ، ع9، 1990.ص 67).

[8] - عباس عبد الحميد عباس، الأرد تحولات الدرس الأدبي المقارن (عزالدين المناصرة وجهوده المقارنة انموذجا)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012. ، ص65) .

[9] - عز الدين المناصرة ، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004 ،ص46) .

[10] - عباس عبد الحميد عباس ، تحولات الدرس الأدبي المقارن (عزالدين المناصرة وجهوده المقارنة انموذجا)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012. ص 68

[11] - حسام الخطيب، الأدب المقارن على مشارف القرن الواحد والعشرين (الاتجاهات الرئيسية والمؤشرات المستقبلية) منشور ضمن: قضايا الأدب المقارن في الوطن العربي، أعمال المؤتمر الدولي بمركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة، كلية الآداب / جامعة القاهرة، مصر، 20 – 22 ديسمبر 1995م ، ص 24 .

[12] - عز الدين المناصرة ، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004. ص 66- 67 .

[13] - جون توملينسون ، العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم مُحَمَّد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والإعلام ، الكويت ، ع 354، أغسطس 2008.، ص 111/100.

[14] - عز الدين المناصرة ، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004.، ص 103/102

[15] - عباس عبد الحميد عباس تحولات الدرس الأدبي المقارن (عزالدين المناصرة وجهوده المقارنة انموذجا)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012. ،ص76/75

[16] - عز الدين المناصرة، الجزائر ، مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004.، ص134

[17] - عز الدين المناصرة: مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004.، ص 315/ 386

قائمة مصادر و مراجع البحث :

1-عباس عبد الحميد عباس: تحولات الدرس الأدبي المقارن (عزالدين المناصرة وجهوده المقارنة انموذجا)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.

2-عز الدين المناصرة: مقال العولمة والهويات، مجلة التبين، الجزائر ، العدد23، 1نوفمبر2004.

3-جون جوزيف: اللغة والهوية، ترجمة: عبد النور خرافي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والإعلام ، الكويت ،العدد 342، 2007م.

4-عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية: قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي، عمان، الأردن،ط1، 2004.

5-لويس غسان: مدخل إلى تحليل الخطاب، ترجمة: سام عمار، مجلة التعريب، سوريا ، ع9، 1990.

6-حسام الخطيب، الأدب المقارن على مشارف القرن الواحد والعشرين (الاتجاهات الرئيسية والمؤشرات المستقبلية) منشور ضمن: قضايا الأدب المقارن في الوطن العربي، أعمال المؤتمر الدولي بمركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة، كلية الآداب / جامعة القاهرة، مصر، 20 – 22 ديسمبر 1995م

7-جون توملينسون: العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم مُحَمَّد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والإعلام ، الكويت ، ع 354، أغسطس 2008.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

www.manaraa.com